ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Zainab madeh Jbara al- nuaimi
University: Wasit University
College:
Basic Education college
Email: Zjbara@uowasit.edu.iq

Keywords:
Al-Sayyab, Night, Semantic, stylistic, field .

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	12 Jun 2022
Accepted	10 Sep 2022
Available online	1 Oct 2022

A poem in the night for Al- Sayyab (a semantic stylistic vision)

A B S T R U C T

This research deals with a stylistic analysis on the semantic level of the poem "At the Night" by the great poet Badr Shaker Al-Sayyab. It focuses on the semantic dimension of the words which belong to the semantic fields of time, space and some other fields. By his selection of these words, Al-Sayyab was able to present one of the best artistic poems ever, which illustrated his great linguistic intelligence and poetic talent; he accomplished that by using temporal and spatial words to indicate the extent of suffering he went through as a result of his psychological alienation, exile from the country, sickness, orphan hood, and loneliness. He used these semantic words on four levels: the semantic field of time and space, the field of color indication, and the field of titles' indication. We located the places of each of these words in the given poem "At the Night", which the poet wrote at the end of his life while he was sick and away from his country.

In the conclusion of the research, we clarified the results of selecting these semantic words in the given poem "At the Night". We also talked about the image of the night and its relationship to the poet's suffering that was the result of his longing for his mother and his village "Jikor"; we placed this as an "objective equation" to explain his relationship with his mother and his attachment to her.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

قصيدة في الليل للسياب
(رؤية اسلوبية دلالية)

أ.م.د زينب مديح جبارة النعيمي / جامعة واسط/ كلية التربية الاساسية

الخلاصة:

يتناول هذا البحث تحليلا أسلوبيا دلاليا لقصيدة "في الليل" للشاعر الكبير بدر شاكر السيّاب على المستوى الدلالي، بتركيز على الألفاظ ذات البعد الدلالي التداولي التي تنتمي إلى الحقول الدلالية الزمانية والمكانية وغيرهما، اذ استطاع السيّاب بقدرته اللغوية الكبيرة وموهبته الشعرية العالية أن يقدّم أفضل الأعمال الشعرية الفنية باستعماله لألفاظ زمانية ومكانية دالّة على حجم المعاناة التي مرّ بها من غربة نفسية، ونفي من البلد، ويتم منذ الصغر، ومرض، ووحدة، اذ استعمل السيّاب هذه الألفاظ الدلالية على أربعة مستويات وهي: الحقل

الدلالي الزماني، والمكاني، وحقل دلالة الألوان، ودلالة العناوين، اذ قمنا بتحديد مواضع استعمال كلاً من هذه الألفاظ في قصيدة "في الليل" الذي قام بكتابتها في نهاية عمره، وأثناء مرضه الأخير وهو بعيد عن بلاده.

وفي خاتمة البحث قمنا بتوضيح نتائجه في تحديد الألفاظ الدلالية في قصيدة "في الليل"، وصورة الليل وعلاقتها بالمعاناة التي عاشها الشاعر مع حنينه لأمه وتعلّقه ببلدته وقريته جيكور ووضعها كمعادل موضوعي لعلاقته بأمّه وتعلّقه بها.

الكلمات الرئيسّية: السيّاب، الأسلوبية، قصيدة في الليل، التحليل، الحقل، الدلالة.

مقدّمة:

نشطت الدراسات الدلالية على نحو بارز في السنوات الثلاثين الأخيرة، وهذا أمر تعرفه الثقافة الإنسانية إذ تتبلور جوانب في المعرفة وتتكامل لتغدو علماً له قوامه، ويلحظ ههنا أنَّ العلماء والباحثين في العلوم الإنسانية إنما يستمدون أصولاً قديمة، فينظرون فيها بمناهج جديدة وبرؤى تتطلّع إلى استفادة تخدم العصر وتحرّك فاعلية تلك الأصول من خلال فروعها المتولّدة منها.

أما بالنسبة لدراسة المستوى الدلالي عند شعراء العصر الحديث، فهو أمر بالغ الأهمية وذو تعقيد كون المستوى الدلالي هو أحد مستويات الدراسة الأسلوبية ونتاج تضافر البنى، والرؤى، على جميع مستويات التحليل الأسلوبي بما فيها من مستوى تركيبي، وصوتي، وثقافي، وغيرها من المستويات التي تدخل في صلب علم الدلالة.

وما وضع قصيدة في الليل للسيّاب تحت الدراسة هو محاولة منّا لكشف المستويات الأسلوبية وأسرار الألفاظ والحقول الدلالية التي استعملها السيّاب لتقديم شعوره للمتلقّي بشكل مباشر وواضح.

اذ أن أعمال السياب الشعرية هي أهم وأفضل مرآة تعرض أسلوب ونفسية الشاعر وبما أن ذلك يساعد على فهم أشعاره، لذلك سنقوم في هذا البحث بتحليل أسلوبي لقصيدة الليل على المستوى الدلالي وفقاً لمنظومة القيم الدلالية المتعارف عليها بين الأدباء ألا وهي:

1. دلالة الزمان.
2. دلالة المكان.
3. دلالة العناوين.
4. دلالة الألوان.

بين الواقع اللغوي والمنهج الأسلوبي الدلالي:

أكسبت النظرات اللغوية ذات البعد التداولي أهمية كبيرة في التحليل اللغوي والدلالي؛ فتحوَّلت بتقنيات التحليل اللغوي الدلالي من محدودية المثلث الدلالي المقتصر على الدال والمدلول والفكرة إلى رباعية المنظومة الدلالية التحليلية فضلاً عن عناصر التحليل الدلالي الثلاثي عنصر الواقع اللغوي التداولي (ساندیرس، 2011م، 205) ، الذي يكون أساساً موضوعيّاً لأي نص (فرج، 2020م، ص17) ، فيقود هذا التوسع التحليلي الدلالي إلى التعاطي مع المنظومة اللغوية المحلَّلة بلحاظ إقناعها وإمتاعها من جهة، وتأثيريتها وإدهاشها السامع من جهة ثانية، على أن يأتي ذلك كلُّه في ضوء من التقنيات التي يتطلبها السياق الاجتماعي المتضمِّن إلى جنبه أفقا مناسبة من السياق الثقافي بمختلف مساقاته.

وهذا النظر التحليلي يجعل المحلِّل اللغوي متعاطيا مع "علم الإشاريات أو السيمولوجيا" من خلال تقنيات التحليل التركيبي والدلالي، والتداولي منتهياً إلى صوغ ذلك على نحو من العلائق التبادلية بين المنتفعين بالنص متكلِّما ومتلقيا من خلال العلائق الدلالية الرمزية بين الإشارات اللفظية ودلالاتها (ساندیریس، 2011م، 204)، ويأتي ذلك في إطار النصية التي تتجاوز إلى المعرفة المصاحبة المؤثرة في التكوين اللغوي للنص غير المنفصلة عن تكوين معرفة بالعالم (فرج، 2020م، ص16) ، بمعنى أنَّنا أمام تحليل تكاملي للمنظومة الدلالية الموسَّعة التي تنتظم في أنساق لفظية ذات إيحاء دلالي لا يظهر من دون تفكيك هذه العلائق تارة، وتجميعها تارة أخرى؛ لتتوافر عناصر العملية الكلامية المقالية والمقامية محقِّقة الأثر الدلالي كما يريده المتكلِّم من جهة، وكما يريده المتلقي من جهة أخرى على نحو لا يخلق تعارضا بين هذا وذاك؛ اعتمادا على مهارات تحليلية إيحائية معينة.

أمَّا مسألة المقاربة التحليلية اللغوية التداولية فهي تتواجد في منطقة التحليل اللغوي التكاملي الذي اقتضاه "علم الإشارات" المستوعب للقيم الدلالية العرفية والرمزية؛ ذلك بأنَّ الدراسة الحقيقية للأسلوب اللغوي تدخل ضمن مهام اللسانيات النفعية التي تتساءل وباستمرار ... عن النظام اللغوي والأداء اللغوي لتصل إلى المتكلم / المستمع من جهة، وإلى النصوص الحقيقية (المنطوقة والمكتوبة) من جهة ثانية مع مراعاة العوامل غير اللغوية (ساندیریس، 2011م، ص209)، في تحليل الخطاب اللساني وإنتاج النص الذي يخدم أهدافا اجتماعية، ويكون ذلك مرتبطا ـ غالبا ـ بسياقات نشاط معقَّدة (محمد، 2018م، ص49).

وهذا يمهِّد إلى التعاطي في ضوء التداولية النفعية التي تضع الاستعمال في إطار النفع اللغوي الذي يخلق التفاعلية المطلوبة، ويخدم دائما تلبية حاجات الاتصال (محمد، 2018م، ص59) ، بمعنى أنَّها تتمظهر في تصورات نفعية واضحة (ساندیریس، 2011م، ص212-217) ، لا تنفصل بطبيعة الحال عن روح العملية اللغوية وآفاقها الإشارية التي تتداخل مع أجواء السياق بلحاظ تنوع عناصره، وحتمية الوقوف على هذه

العناصر عندما يشتغل المحلل اللغوي على إنتاج طائفة متماهية من المقولات الدلالية التي يريد لها أن تتقدَّم بمشروعها الدلالي وقد حقَّقت نوعا من الإقناع، وتطلَّعت إلى نوع من التأثير، وكأنَّها تتقمَّص ما يريد تحقيقه المتكلِّم؛ فتُبنى على أسس تحليلية هي بالضرورة أسس البناء الكلامي التي يحرص المتكلِّم على أن يضعها هدفا يسعى إلى الوصول إليه .

لا شكَّ في أنَّ الشاعر عندما يستعمل الألفاظ يعتمد في استعماله لها على مبدأي العدول والاختيار؛ لكي يحقق استعمالا يقوم على أساس من الدلالات الخاصَّة لهذه اللفظة أو تلك، وكثيراً ما يعمد الشاعر إلى الألفاظ فيكسبها دلالات شعرية خاصة به؛ فتأتي وقد تلوَّنت بألوان دلالية متنوعة، وهذا ما أردتُ بيانه في المنظومة الدلالية الأسلوبية للشاعر بدر شاكر السياب في قصيدته "في الليل" التي استعمل فيها العديد من الحقول والألفاظ الدلالية؛ ليتضح توظيفها عنده ومدى تأثير العناصر اللغوية وغير اللغوية في إنتاج الدلالة.

وجاء بيان ذلك معتمداً التحليل الدلالي السياقي الذي ينشد المغزى الشعري، والآفاق الدلالية الثواني والثوالث لهذا الاستعمال الذي يحتمل كثيراً من المقولات الدلالية، ولا سيما عندما يُنظر فيه في ضوء الدلالية التداولية التي لا تنفصل عن الدلالية الثابتة.

الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي : هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها ، مثال ذلك : كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام (**لون**) وتضم ألفاظًا مثل : **أحمر ، أزرق ، أصفر ، أخضر ، أبيض** ، ..... إلخ ، وعرّفه (**يولمان**) بقوله : ((**هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة**))، وعرّفه (**ليونز**) بقوله: ((**مجموعة جزئية لمفردات اللغة**)) ، وتقول هذه النظرية أنّه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، أو كما يقول (**ليونز**) في معنى الكلمة بأنّها (**محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي**).

وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلًا معينًا والكشف عن صلتها الواحد منها بالآخر وصلاتها بالمصطلح العام، لذلك لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، واستحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

المستوى الدلالي:

علم الدلالة هو جزء من علم اللغة، أو مستوى من مستوياته، فاللغة هي نظام اتصال يجعل شيئًا ما على اتصال بشيء آخر، رسالة من ناحية ومجموعة من العلاقات أو الرموز من ناحية أخرى، وقد أشار (**دي سوسير**) إلى هذه بكونها دالًا ومدلولًا.

ويعد المستوى الدلالي أحد المستويات الأسلوبية الأكثر أهمية؛ بوصفه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد كي تكون خادمة له من أجل إفراز معنى ما يتمخض عن تحليل البنية اللغوية للجملة.

وعلم الدلالة في أبسط تعريفاته (**هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى**)، فإنّ هذا المعنى لا تبرزه إلاّ الكلمة، ولا حياة للكلمة إلا في إطار السياق الذي يحتويها سواء أكان هذا السياق مكتوبًا مقروءاً، أم منطوقاً مسموعاً.

يصادف قارئ السياب عالماً متفرداً في تجربة الشعر، فالسياب يعد من أكثر الأدباء معاناة وأقلّهم حظاً، وليس المجال هنا ملائماً للتفصيل في حياته، غير أنه يمكن القول إن فيها ما يبعث تدفقاً يحتاج إلى التعبير عنه، والسياب الذي وهب الشعر عبّر بشعره عن ذلك التدفق، والدراسات التي اختصت بشعر السياب أكثر من أن تُحصى، وأثر المضامين في صناعة التراكيب والخصائص الدلالية في قصيدته "في الليل".

وعلى الرغم من كون السياب من أوائل الشعراء المجددين في الأدب الحديث، إلا أن عبارته بقيت محافظة على تقليدية البناء في إطاره العام فهي طويلة ممتدة في بنائها الدلالي، كما قال

الظواهر الأسلوبية والتحليل على المستوى الدلالي لقصيدة في الليل:

المستوى اللغوي الدلالي-المستوى الصوتي:

إن البحث عن موقع الإبداع داخل النص يستوجب من الباحث الوقوف على البُنى الصوتية التي تمثل جزءاً لا يتجزّأ من هيكل القصيدة، إذ تتجه الدراسات الأسلوبية إلى استقراء الظواهر الصوتية لدى الشاعر، لتبرز من خلال ذلك أهمية المستوى الصوتي في كونه يهتم بالمادة الصوتية التي تختزن في داخلها الطاقات التعبيرية والفكرية والعاطفية لدى الشاعر (مصطفى، 2016، ص681).

تعتمد دراسة المستوى الصوتي على الموسيقى في القصيدة الحداثية فضلاً عن الإيقاع، موسيقى مؤلفة من الأوزان الشعرية المعروفة من الوزن ومن القافية، فالوزن يعني به القدماء "القياس"، فالقصيدة مؤلفة من أبيات تقاس بحسب عدد المقاطع المبتورة والمقاطع غير المبتورة، وترتيبها، ووحدة القياس هي التفعيلة (حبيرة، 1980، ص352).

لقد كان الشاعر رمزا موسيقيا ذكيا في عملية التزاوج بين الألم وصنع الموسيقى الحزينة وهذا ما ولد لديه نظرة سوداوية للحياة ويأسا غير محدود. رغم ذلك أحب الموت ورأى فيه انتصارا لشعبه. وأما مأساته فتكمن في غربته الأبدية بعيدا عن أمه الحياة الدامية التي شكلها له صراعه مع الموت في إيقاع مليء بالأحزان (الهواري، 2010).

الموسيقى في النص الشعري لقصيدة في الليل:

هي مفهوم واسع يقصد به النظم الصوتية التي تتناغم معاً لبناء هيكل إيقاعي للقصيدة بما يتيح لها نغماً منتظماً يتناسب مع مضامين الأبيات وحالات الشاعر وجذب انتباه المتلقي (محمد، د.ت، ص13).

وهي تشمل الوزن والقافية بوصفهما الركنين الأساسيين في منظومة الإيقاع الصوتي والجمالي في الأبيات، "فالقافية هي أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السّامع ترددها لهم" (خليف، 1956، ص15).

وهذا ما يعطي الأبيات تصويتاً خاصاً في نهاية المطالع فوجود الموسيقى ليس الوزن وحده هو صاحب الفضل فيه، وهو لا يعد أن يكون واحداً من عوامل متعددة للموسيقى الخارجية، فالقافية عضو أثري منبثق من ألفاظ كان يكررها النادب في المناحات لما لهذه التكرارات من أثر في نفوس الناس.

فقد بنى السيّاب قصيدته "في الليل" على تفعيلة (فَأْعِلُنْ) التي أصابها القطع (حذف ساكن الوتد المجموع وهنا هو فَعِلُنْ) والخبن (وهو حذف الثاني الساكن وهنا هو فَعْلُنْ) والتذييل (وهو زيادة حرف ساكن على آخر وتد مجموع وهنا هو فعلان)، ولمّا كانت هذه العلّة في قصيدته توجّب عليه أن يحافظ عليها حتى نهاية القصيدة.

الْغُرْ /فةُ مو /صدةُ الـْ /باب

5/5/ 5/// 5/// 5/5/

فَعْلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعْلُنْ

والصّمْـ ـتُ عميقْ

5/5/ 55///

فَعْلُنْ فَعِلانْ

أما التدوير فهو من أساسيات الربط بين الأسطر الشعرية وهو ظاهرة في الموسيقى الخارجية ويُعرف بالبيت المدور، ذلك البيت الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة، حيث يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني

كما في قول الشاعر السياب:

وستا ئرُ شب باكي مرخا ةٌ

5/// 5/// 5/5/ 5/5/ 5/

فَعِلُن فَعِلُن فَعْلُن فَعْلُنْ فَعْ

رُب بَ طريق

5/ 55///

لُنْ فَعِلانْ

أما القافية في القصيدة مكونة من متحرك فساكن متحرك فساكن وقبل حركة حرف الروي أتي بحروف المد (ألف، واو، ياء) لكي يمتد من خلالها الصوت، ويجدر بنا الإشارة إلى أن القافية إما أن تكون مطلقة من خلال

الحرف المتحرك في نهاية السطر مثل (البابِ، سودِ)، ومقيّدة من خلال تسكين الحرف الأخير في نهاية السطر مثل (عميقْ، طريقْ).

أيضاً نوّع الشاعر في حروف الروي وكان أهمها (القاف، والدال، والباء) والتي تعكس شدّة معاناة الشاعر وجهره بها، فهو يشارك المتلّقي آلامه الجسدية والروحيّة، راجياً السلوى لنفسه الكئيبة المعذّبة العليلة.

كما نوّع الشاعر في عدد التفعيلات بين عدد أسطره الشعرية، فمنها ما احتوى على أربع تفعيلات، منها ما كان على تفعيلتين.

الموسيقى الداخلية:

تتولد الموسيقى الداخلية بفضل الانسجام الحاصل بين الحروف والكلمات والجمل والعبارات (محمود، 2013، 12)، وعند الحديث عن إيقاع الكلمة علينا أن نعلم أنه لا يستقيم له حال دون التطرّق إلى موضوع التكرار اذ يعد موضوع التكرار أهم عنصر للموسيقى الداخلية بل هو منبع الإيقاع فيها (حبار، 1997، ص14).

ولا بدّ أن تكون القاعدة الأولية في التكرار هي أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يردد فيه، كقول الشاعر (الغرفة، موصدة، أثواب، الليل، الباب)، كما تكررت العبارات أيضاً (الغرفةُ موصدةُ البابِ، الصمتُ عميقْ) مرتين في القصيدة.

كما كرر الشاعر الأحرف الهامسة التي تعبّر عن شدّة معاناته وألمه وانكساره كالهاء والسين والصاد مظهرةً لنا الجو النفسي المتأزّم للشاعر.

وأغنى السيّاب إيقاعه الداخلي باستعماله الصور الموحية من استعاراتٍ وتشابيهٍ فالطريق يتنصّت ويترصّد، جعل من الطريق شخصاً يتنصّت له ويترصّد به، كما نراه يشبّه أثوابه بمفزّع البستان وهاتان الصورتان توحيان بالقلق والخوف والهموم الكثيرة المتشبثة بروح الشاعر الحزينة.

المستوى المعجمي الدلالي:

إنَّ لكل كاتب ومؤلّف معجم لغوي دلالي وأسلوب خاص يختار فيه ألواناً من الألفاظ التي تميّز أسلوبه، وهذا المعجم يتكوّن من شقين أساسيين، الشق الكمي: وهو كمية الألفاظ التي تكوّنت في ذاكرة الشاعر من خلال قراءاته ولا بدّ من أنها ألفاظ كثيرة ترتبط مع المراحل المتعددة والمتناقضة التي عاشها الشّاعر في حياته رغم أنه لم يعمّر كثيراً، كما كان السيّاب على درايةٍ كبيرة في كيفية خلق شعر جديد يكون له فيه بصمته الخاصة التي تشير إليه على تطاول الزمان فقد خلق السيّاب لغة جديدة ركّبها من ألفاظ جديدة على الشعر العربي عامة

والشعر الحديث خاصة، وهذا الطابع الخاص مكّنه من إبراز شاعريته التي أوصلته للريادة في الشعر الحديث.

الشق الكيفي: ويعني به كيفية توظيف الشاعر لهذه الألفاظ وانتظامها في نسق لغوي له دلالته، فقد أكثر الشاعر من استعمال الألفاظ الزمانية والمكانية في هذه القصيدة.

اذ يبدو لنا أن البحث في الدور الدلالي للفظة الليل على سبيل المثال في تجربة السيّاب في قصيدته "في الليل" يجب أن يأخذ منحاً سياقياً بمعنى أن يكون الكشف عن هذا الدور من خلال السياق البنائي الذي يحيط بالبؤرة الاستعارية لصورة الليل ويتفاعل معها أو تتفاعل معه لإنتاج الدلالة والوظيفة، وإن استعراض صورة الليل في سياقاتها الشعرية يكشف لنا أن السيّاب كان كثيراً ما يغرس هذه الصورة في دلالة القسوة المتعلقة في الحياة وبيئتها وتجاربها، فالمرض والغربة والوحدة، والتمزّق الروحي، والإحساس بالألم الحاد لا بدّ له من ألفاظ تلائم المضمون الشعري (القرعان، 2007م، ص404).

فالشاعر على فراش الموت يتذكر أمّه المتوفاة منذ زمن بعيد ولكن كفنها لم يبلَ بعد وكأن حاجته إلى أمّه لم تنقص يوماً ولا يزال طفلاً صغيراً يرجو احتضانها له كي يغفو غفوته الأبدية بسلام.

المستوى النحوي الدلالي:

استهلَّ الشاعر قصيدته بالجمل الاسمية التي تنحو نحو الثبات والديمومة فحالة الغرفة الموصدة الباب والشبّاك، والوحدة، والعزلة، هي حالة دائمة بالنسبة للشاعر، ولا يبدو أنه يمكن تغييرها إلّا إذا طرق الموت باب الشاعر.

"الغرفة موصدة الباب

والصمت عميق"

(ديوان شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص15)

نراه ينتقل لاستعمال الجمل الفعلية عندما يريد أن يهرب من واقعه الساكن الثابت إلى واقع آخر فيه من الحركة والتجدد ما يعيده إلى الحياة أو يوصله إلى النجاة من آلامه وأحزانه.

وسريتُ: ستلقاني أمي

...

ستقول" أتقتحم الليلا

من دون رفيق؟

(ديوان شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص15)

نوّع الشّاعر بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي فحياته البائسة في تلك الغرفة الموحشة حقيقة راسخة لا شكَّ فيها، قام الشاعر بإبرازها من خلال الأسلوب الخبري في قوله (الغرفة موصدة)، وفي انتقاله للأسلوب الإنشائي ونخص الطلبي منه عن طريق الاستفهام (من دون رفيق؟ - خرّوب المقبرة الصادي؟ - ألا ترمي أثوابك؟) وهي استفهامات لا تفيد بحسب مقتضى الظاهر بل خرجت عنه لتفيد معنىً مستلزماً حوارياً بحسب مقتضى الحال فأفادت الالتماس وإظهار اليأس.

كما نرى النداء في قوله (يا أغلى من أشواقي) والنداء هنا يفيد التقرّب والتحبب من المنادى فضلاً عن إلى الالتماس الذي يبحث عنه الشاعر في قلب الأم التي فقد الحبّ الصادق مع فقدها.

أما الدلالة الضمنية فيؤديها السيّاب داخل النص وعمقه والمستوى العلائقي المنتج للحركة الثاوية فيما وراء اللغة المحسوسة، وتتجلّى من خلال الحركة النصيّة العلائقية، وهذا ما يُطلب إظهاره بالقراءة التأويلية.

لا بدَّ للوصول إلى حركة العلاقات الداخلية من الإمساك أولاً بخيط الدلالة السطحية للوصول إلى ما تحتها، أو للحفر تحت هذه الدلالة للبحث عن النصوص الغائبة المتخفية فيما يريد الشاعر قوله، ولا بدَّ من معرفة البؤر الدلالية التي يضمنها النصّ:

البؤرة الأولى: تعاني الذات المتكلمة التعب والمرض والبؤس والكآبة والوحدة.

البؤرة الثانية: الذات المتوهمة التي تتوق إلى الموت وملاقاة الأم المتوفاة.

هذه هي الدلالة المهيمنة على سياق القصيدة، وهذا ما تلمّسناه في وحدات دلالية تشكّل مناخاً من تأزّم الذات المتكلّمة وانسحاقها تحت وطأة المرض والعجز والإحساس باقتراب المنية إزاء غياب الذات الأخرى (المتوهمة) ظاهرياً وحضورها بقوة فعلياً، وفقدان التوازن العام، ولكن يبقى الإنسان في داخله يرجو الحياة والأصدقاء، والأحبَّة، رغم استحالة عودتهم.

هكذا تتجلى في المحاور الدلالية السابقة وفي العلاقات الداخلية التي تتواشجعها حركة النص الهابطة من الداء إلى الموت.

الحقول الدلالية:

إنَّ جدة التجربة وقيمتها تتوقفان على جدة وسائل التعبير عنها وعلى ما تزخر به تلك الوسائل من دلالة فنية وسيتضح ذلك من خلال الحقول الدلالية.

حيث نلاحظ أنَّ النغمة المهيمنة على القصيدة هي نغمة الحزن والوحدة والتمزّق والضياع أو الغربة في العجز فالشاعر معتل تطوقه الجدران ويجثم الحزن على صدره فيكاد يخنقه، إنَّ ذات الشاعر هنا غير منفصلة عن واقع أمتها الحضاري.

تأتي الألفاظ الشعرية الدلالية في قصيدة في الليل للسياب مثالاً تأثيرياً على مسألة معارفية تواصلية تتمثَّل في "التعطيل الدلالي" المرتبط بالمستعمل اللغوي العام أو الثقافي؛ إذ يؤسس الشاعر مرتكزات واضحة في بنائه الأسلوبي لعمله الشعري ليُقيم الرؤيا التي يحاول نفثها خلال أجواء القصيدة.

ومرتكزات الرؤيا عند الشاعر خاصة ـ والمبدع الكلامي عامة ـ لا تعدو ألفاظا أو صوراً تتشكل بسبب من دلالات هذه الألفاظ بمعاونة السياق الموسَّع وأثره.

ولمَّا كانت ألفاظ الشاعر السياب تتغير دلالاتها من مرحلة شعرية إلى أخرى (توفيق، 1979م، 159)، فضلاً عن أنَّها تستعمل في لغة ذات إيحاء دلالي كبير (السامرائي، 2015م، 230)، فلا يخفى أنَّ هذه المرتكزات الأسلوبية لا تنفصل إلى حد الامتزاج عن العدول الذي يقصده الشاعر ويجد فيه فقط ما يمكنَّه أن يند عن الاستعمال المباشر في اللغة؛ فينتج لغة شاعرة تظل تنتج المعنى على نحو مختلف وحركي.

تتحمل الألفاظ الارتكازية عبئا كبيرا في طريق توصيل الرؤيا الشاعرة؛ فتتحول إلى بؤر تنطلق منها هذه الرؤيا، وتعود لتتجمَّع عندها الدلالات المتعددة التي توزَّعت على دوال القصيدة.

دلالة الزمان والمكان والألوان في قصيدة في الليل:

من بين الحقول التي تتوزع النص هناك حقل الزمان: في الليل الزمن يوم الحشر...وحقل المكان: الغرفة المقبرة الارض اللحد...تقوم بين الحقلين علاقة جدلية تعكس مرارة معاناة الشاعر مع المرض.

نجد في الإطار العام الذي يدرس الظروف العامة التي كتب فيها الشاعر فعنوان القصيدة في الليل، فالزمان الليل، والمعروف بأن الليل دلالة حقيقية للسّكون، والعزلة، والظلام، وأرق للشاعر فالليل يوحي بالوحشة والخوف والغربة والوحدة والمعاناة، والمكان الغرفة حيث تتحدث القصيدة عن الغرفة الموصدة المغلقة المنعزلة، وخلف جدرانها ستائر مسدلة، وعن المرض والعزلة، والأصدقاء الغائبين، وعن الأم، إذ أن حالة الشّاعر، وحزنه، وألمه داخل غرفته المظلمة تجعله يدخل في تخيلاتٍ للحديث إلى أمّه الرّاحلة، وساقه الوهم للعالم الآخر حيث سيلاقي أمّه هناك، وتحدث لنا الشّاعر عن الطّريق النّائي الموحش، وعزرائيل، والأكفان، والموت، واللّحد، وشاعرنا يعبّر عن تجربةٍ ذاتية من العزلة، والمرض، والألم، والمعاناة، والحزن، والاستسلام لليأس والموت في تلك الغرفة الموحشة في الليل.

وصف الغرفة الموصودة المقفلة وحالة العزلة والحزن التي كان يتخبط بها الشّاعر، وتحدّث عن غياب الأصدقاء، والطريق الموحش واللّحد، والوهم الذي قاده للحديث مع أمه الرّاحلة، يأس الشاعر، ومعاناته من العزلة، والمرض، وفقد الأحباب، التشاؤم، وعدم الرّغبة في الحياة حيث سيلتقي بأمّه.

حيث قال في بداية قصيدته:

الغُرفَةُ موصَدَةُ البابِ

والصَمتُ عميقْ

وستائرُ شبّاكي مرخاةٌ...

ربَّ طَريق

يتنصَّتُ لي، يترصَّدُ بي خلفَ الشبّاكِ، وأثوابي

كمفزِّعِ بستان، سودُ

أعطاها البابُ الموصودُ

نَفَسًا، ذرَّ بها حسّاً، فَتَكادُ تفيقْ ... (ديوان شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص15)

نجد في بداية القصيدة تعبير الشاعر عن الجو الكئيب والصامت ودلّ على ذلك بعدة ألفاظ (صمت، سود)، وحدد المكان في قوله الغرفة موصدة الباب، نتج عن هذه الدلالات شعوره بالوحدة والعزلة في جو كئيب في الليل.

توهّم الشاعر لخروجه من الغرفة وذهابه إلى اللقاء بأمّه في المقبرة بقوله:

ولبست ثيابي في الوهم

وسريتُ: ستلقاني أمّي

..... (ديوان شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص15)

نلاحظ في الألفاظ الدلالية المستعملة من السيّاب في (سريتُ) والمقصود بها السير ليلاً إذ أن الليل والظلام يعبران عن الهموم والأحزان التي يعيشها الشاعر في فترة المرض والتعب في المستشفى وأثناء كتابته لقصيدة "في الليل".

أما في قوله (ستلقاني أمّي) إيحاء للانتقال من الزمن الحاضر إلى المستقبل القريب وهو الموت، لكنّ رغبة الشّاعر في الموت ليست حبّا بالموت وإنما يراه الخلاص الوحيد من الألم والتعب الجسدي والروحي.

الوحدة التي عاشها الشاعر ونقلها إلى المتلقّي في دلالة الألفاظ (لم يبقَ صديق) ذلك بقصد أنه معزول عن الناس من حوله، كون الإنسان عندما يشعر باقتراب الموت يبقى وجود الناس والأصدقاء حوله هو فقط ما يبعث الأمل في نفسه بالرغبة في التمسّك بالحياة.

عاش الشاعر بدر شاكر السيّاب يتيم الأم من صغره في قرية جيكور، دخل المدينة وهو يعاني من الغربة الاجتماعية، فقد قتلت المدينة في نفسه صورة جيكور وبراءتها وطهرها، في الوقت الذي كان يرجو فيه أن تداوي جرحه، وتحقق أحلامه (جعفر، 1999م، ص32)، وكما لاحظ قرّاء شعره أنه دائماً ما يذكر قريته جيكور في أشعاره ويضعها في خانة مع مكانة الأم عنده، أي أن قريته جيكور المعادل الموضوعي للأم في

أشعاره، لذلك عندما كتب الشاعر قصيدة "في الليل" في لندن 1963م، وهو كان قد توفي في 1964م كان في فراش غرفة في مستشفى، وكان على فراش الموت، ومن هنا جاء حنينه لأمه ورغبته في لقائها بإحساسه بقرب الموت منه.

كل ما سبق كان في الحقل الدلالي الزماني والمكاني فيما يخص الألفاظ المستعملة في قصيدة "في الليل"، حيث بدأ النفق الزماني من الزمن الحاضر وانتقل منه إلى المستقبل القريب الذي يراه نصب عينيه وهو الموت، ولقاء أمّه المتوفية اذ كانت تنبؤاته صحيحة في النهاية.

كما أن الغربة النفسية واضحة من خلال قصيدته "في الليل" حيث أن السيّاب عاش عمره متنقلاً بين عدّة بلدان (عراق – الكويت – مصر ...) وعاش بعيداً عن بلده العراق، وعن قريته جيكور التي كانت المعادل الموضوعي للأم الفقيدة.

دلالة الألوان: أتت من خلال إشارة الشاعر للثياب السوداء والظلام في قوله:

"يتنصّت لي، يترصّد بي خلف الشّباكِ، وأثوابي

كمفزّعِ بستان، سودُ

..... (ديوان شناشيل ابنة الجلبي وإقبال، ص15).

استعمال الشاعر للألفاظ الدالة على السواد ليعبّر من خلالها عن شعوره بالوحدة والكآبة واقتراب الموت، كما في قوله "الليل" يقترن ذلك بوجود ظلام وسواد أيضاً يعبّر عن تلك الأحاسيس والمشاعر الملخصة في الوحدة والتعب والمرض والكآبة.

وقد أجد في "شبابية ألفاظ السياب" ما يمثِّل إيحاء بالتعويض وانعكاسا سالبا لحالة المرض التي يعاني منها هذا القروي النحيف؛ فتأتي اللفظة لتحمل إشارة رمزية إلى إرادة الشاعر في أن يستغرق في مظاهر الشباب التي يحاصرها المرض والموت، ولو على نحو التمويه النفسي الذي يصنعه لذاته.

ولعلَّ الشاعر أيضا أراد بهذا التعطيل الدلالي لحاظ مسألة مهمة هي التفاعل مع السياق الثقافي للقرآن الكريم وعدم التعاطي معه بلحظات جزئية، بل أراد التعاطي معه بلحاظ كلي؛ ويتأكَّد لنا بعد هذه المقاربة اللغوية الوصفية أنَّ جماعة المتكلمين في اللغات العراقية الحديثة يجنحون إلى تعطيل الفروق الدلالية أو إزالتها بين الكلمات المستعملة للدلالة على معنى عام واحد فيكتفون باستعمال كلمة واحدة للدلالة على معنى كلمتين أو طائفة من الكلمات تختلف دلالتها في الاستعمال اللغوي التراثي، ولكنَّ الشاعر يظل يصنع المعنى صناعة مخصوصة فيستطيع وحده توظيف هذا الجنوح لخلق أجواء انفعالية على المستوى الدلالي تحمل كثيرا من البوح والتأمل.

لعل الشاعر السياب التفت بحدس الشاعر إلى هذا الاستعمال فتحسس فيه رؤيا التدافع بين متناقضات الحياة، التي يمكن لها أن تتجلَّى فيه إذا ما وضعت تحت التسلط الشعري؛ لتتحرر إمكانات الاحتواء أو التعطيل فتصبح مركزا لرؤيا الشاعر وتشكيله الشعري، وهذا ما صنعه السياب فقد استثمر "التعطيل الدلالي العامي" فجعله حالة ايجابية صارت بلغته وضوحا للرؤيا أداة ومعنى.

خاتمة البحث:

قصدت هذه الدراسة أن تبين بعض من ملامح ألفاظ الدلالة في الشعر الحديث وبشكل خاص عند السيّاب في قصيدته "في الليل" إذ تمكّن الشاعر من خلال استعماله للألفاظ الدلالية في حقلي الزمان والمكان من إيصال معاناته إلى القارئ وهذا ما ساعده في أن يكون شعره محسوسا وذات قيمة عالية عند القرّاء والأدباء بمختلف اهتماماتهم.

إذ قام الشاعر بتوجيه هذه الألفاظ إلى معنى ودلالة يريد تقديمها من خلال قصيدته "في الليل" باحتوائها على مضمون قوي للأم ومكانتها المعنوية والقلبية عند الشاعر، كما أن التحليل الأسلوبي للقصيدة على المستوى الدلالي عاد بتشكيل صورة المعاناة التي أثّرت بالشاعر وقدّمها إلينا في قصيدته المدروسة "في الليل" ألا وهي فقدانه لأمّه منذ الصغر.

المصادر والمراجع:

- شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية، د. حسن توفيق 10، الخطاب النقدي -حول --السياب، د. جاسم حسين سلطان الخالدي 159 – 160 .

-عبد الحميد حبيرة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1980،

-لغة الشعر بين جيلين، د. إبراهيم السامرائي 230 .

-الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958 – دراسة نقدية 155 .

- نظرية علم النص – رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج 17 .

-نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندرس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 2003.

-الوطن في شعر السياب – الدلالة والبناء، د. كريم مهدي المسعودي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2011.

- بدر شاكر السياب، ريتا عوض، مطبعة بغداد، ط3، 1987.

- بدر شاكر السياب وإيديث سيتويل – دراسة مقارنة، د. نذير العظمة، دار علاء الدين، دمشق، 2004.

-شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية، د. حسن توفيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

-صورة الليل في شعر السياب وأثرها في توليد الدلالة، د.فايز القرعان، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد4، العدد2، 2007.

List of sources and references:

-Badr Shaker Al-Sayyab Poetry, - Technical and Intellectual Study, Dr. Hassan Tawfiq 10, Critical Discourse – About.

-Al-Sayyab, Dr. Jassim Hussein Sultan Al-Khalidi 159-160.

- The language of poetry between two generations, Dr. Ibrahim Al-Samarrai 230.

- Free poetry in Iraq from its inception until 1958 - critical study 155.

- The theory of text science - a systematic vision in the construction of prose text, Dr. Hossam Ahmed Faraj 17.

- Towards linguistic stylistic theory, Philly Sanders, translated by: Dr. Khaled Mahmoud Juma, I1, Scientific Press, Damascus, 2003.

- Homeland in The Poetry of Al-Sayab - Semantics and Construction, Dr. Karim Mahdi Al-Massoudi, Dar Sahab for Studies and Publishing, Damascus, 2011.

- Badr Shaker al-Sayyab, Rita Awad, Baghdad Press, I3, 1987.

- Badr Shaker Al-Sayyab and Edith Sitwell - Comparative Study, Dr. Nazir al-Azma, Aladdin House, Damascus, 2004.

Poetry by Badr Shaker Al-Sayyab - Art and Intellectual Study, Dr. Hassan Tawfiq, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1979.

- The image of the night in the poetry of al-Sayyab and its impact on the generation of significance, Dr. Fayez Al-Quraan, Magazine of the Union of Arab Universities of Literature, Volume 4, Issue 2, 2007.